نَحنُ نَقُصُّ عَليكَ

سلسلة أعظم القصص ١٤٤٢ هـ

إني أراكم بخير

قصة قوم شعيب عليه السلام

مركز دلائل
Dala'il Centre

قرآنية تشويقات

tashweeqatq@gmail.com

@tashweeqatquran

إِنِّـــي أَرَاكُمْ بِخَـيْرٍ

لم يذكر في القرآن في قصص الأقوام السابقة الذنوب التي اقترفوها بجانب إشراكهم بالله إلا قوم لوط، وقوم شعيب عليهما السلام، فقوم لوط وقعوا بفعل يفسد سلامة الفطرة الإنسانية، وقوم شعيب وقعوا بعمل يفسد نظام الحياة البشرية، فابتدأ شعيب عليه السلام دعوة قومه بالأمر بالتوحيد؛ أصل صلاح الدنيا والآخرة، ثم أعقبه بالنهي عن مظلمة كان إقدامهم عليه فاشياً فيهم حتى نسوا ما ينتج عنها من قبح وفساد، قال الله تعالى:﴿ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ وَلاَ تَنقُصُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾ ، قال الطبري: «ولا تنقصوا الناس حقوقهم في مكيالكم وميزانكم، من أنواع الفساد : من كسر الدراهم وقطعها، وبخس الناس في الكيل والوزن، والتطفيف»، والمطفِّف: المقلِّل حقّ صاحب الحقّ عما له من الوفاء والتمام، ﴿ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ ﴾ : قال الشوكاني : «البخس: النقص، وهو يكون بالتعييب للسلعة أو التزهيد فيها، أو المخادعة لصاحبها والاحتيال عليه، وكل ذلك من أكل أموال الناس بالباطل، وظاهر قوله "أشياءهم" أنهم كانوا يبخسون الناس في كل الأشياء» ، قال ابن عاشور : «وهي مفسدة عظيمة؛ لأنها تجمع خصلتي السرقة والغدر، لأن المكتال مسترسل مستسلم».

إني أراكم بخير

اختار عليه السلام أن يطفئ سعار طمعهم بتبصيرهم بالنعم المحيطة بهم، استمالة لقلوبهم باستقبال الحق:

- **فقال لقومه: ﴿إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ﴾ قال الشوكاني:**

«أي : بثروة واسعة في الرزق»، قال الطبري:«إنما قال ذلك؛ لأن قومه كانوا في سعة من عيشهم،كثيرة أموالهم» قال أبو حيان: «نبه بقوله (بخير) على العلة المقتضية للوفاء لا للنقص»، أي: بنعمة من الله حقها أن تقابل بغير ما تفعلون، فلا تزيلوها عنكم بما أنتم عليه، قال ابن عاشور: «وإنما ذكر رؤيته الخير عليهم؛ لأنها في معنى الشهادة بنعمة الله عليهم فحق عليهم شكرها، والخير: الحالة الحسنة».

- **وقال لهم : ﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾**

قال الطبري : «هي مصدر من قول القائل "بقيت بقية من كذا»، فالمعنى كما قال ابن عباس: «ما أبقى الله لكم من الحلال بعد إيفاء الكيل والوزن خير مما تأخذونه بالتطفيف» ، قال ابن عاشور : «لفظ "البقية" من الفضل في كلام العرب، وهو معنى الخير والبركة؛ لأنه لا يبقى إلا ما يحتفظ به أصحابه وهو النفائس، ولذلك أطلقت "البقية" على الشيء النفيس المبارك، كما في قوله تعالى: ﴿وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ﴾».

إِنِّي
أَرَاكُمْ
بِخَيْرٍ

إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ

﴿ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ قال البقاعي : «أي فضل الملك الأعلى المستجمع لصفات الكمال، وبركته في جميع أحوالكم» ، قال الشوكاني : « ثوابه وبركته وخيره الباقي على وفاء الكيل والوزن»، فإن المؤمن يبارك له إذا تنزه عن الحرام.

- **وقال : ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ﴾** : قال الواحدي : « أي كثركم بعد القلة، وأعزكم بعد الذلة». قال الزمخشري : « أي: واذكروا على جهة الشكر» ، قال أبو حيان : «فإنه تعالى كثر عددهم وأرزاقهم، وطول أعمارهم، وأعزهم بعد أن كانوا على مقابلاتها».

فلما ذكّرهم شعيب بالنعم عادوا إلى الأصل المتجذر في نفوسهم من الطمع والفساد، قال الله تعالى: ﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ ﴾

قال العز بن عبدالسلام: « أصل الصلاة الاتباع، ومنه المصلي في الخيل». أي التابع للسابق، قال البقاعي: «لفظ الصلاة تدور على الوصلة، وكأنها الحقيقة التي تفرعت منها جميع معاني المادة»، والمراد: كل ما يتبع دينك من صلاة، أو قراءة، والمعنى: أدينك ينهانا أن نفعل في أموالنا ما نشاء، قال ابن عطية:« وهذا قلب ما قصدوه»،

إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ

وهذا إشهاراً منهم بفصل الدين عن المعاملات تبعاً لشهوة الطمع في نفوسهم، ورفضاً لمبدأ العدل الذي يقمع حريتهم ببخسهم حق غيرهم، قال البقاعي : « وردهم على شعيب كأنهم ظنوا أن ما نهى عنه موجباً لمحق أموالهم في زعمهم، كأنهم قالوا : إنا إذا اتبعناك فيما قلت فنيت أموالنا، وتضعضعت أحوالنا فلا يبقى لنا شيء » ، قال الزجاج : « المعنى إنا قد تراضينا بالبخس فيما بيننا».

فلما رأى عنادهم وإصرارهم، حذرهم مغبة عصيانهم، قال الله تعالى: ﴿ وَيَاقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ (٨٩) وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾ [هود: ٨٩، ٩٠]

قال ابن كثير: «والمراد بالبعد بعد الزمن والمكان والنسب، فزمن لوط غير بعيد في زمن شعيب عليهما السلام، والديار قريبة من ديارهم، إذ منازل مدين عند عقبة أيلة مجاورة معان مما يلي الحجاز، وديار قوم لوط بناحية الأردن إلى البحر الميت».

إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ

قال أبو السعود: «فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظلة حسبما اقترحُوا، إذ قالوا لشعيب: ﴿ فَأَسْقِطْ عَلَيْنا كِسَفاً مِنَ السَّماءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِين ﴾».

قال الطبري : «الظُّلَةَ كالسحابة السوداء، فلما رأوها ابتدرُوها يستغيثون ببَرْدها مما هم فيه من الحر، حتى إذا دَخلوا تحتها، أطبقت عليهم، فهلكوا جميعًا»، ﴿ فَأَصْبَحُوا فِي دِيارِهِمْ جاثِمِينَ ﴾ يعني: صاروا في مواضعهم ميتين لا يتحركون.

قال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ﴾ قال الطبري : «فأبادَهم، فصارت قريتهم منهم خاوية خلاءً، ﴿ كأن لم يغنوا فيها ﴾ : كأن لم ينزلوا قطّ ولم يعيشوا بها حين هلكوا» ، قال السمرقندي : «والمعنى : من كان رآهم بعد إهلاكنا إياهم ظن أنه لم يكن هناك أحد، كأن لم يعيشوا، ولم يعمروا، ولم يتنعموا».